الفصل الثانى

رسالة الصحافة

يقول الفيكونت دافنل ، وهو مفكر فرنسى ، إن الجريدة فى نشأتها الأولى عند بدء اختراع الطباعة ، كانت تطبع فى ورقة واحدة فى كل أربع وعشرين ساعة حاوية كل الأخبار الهامة ، وكان نشر الأخبار هو الفكرة الأولى لانشاء الصحف . ثم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة هى الصلة بين الزعماء والشعب ، والوسيلة لنشر الدعايات والأفكار الجديدة ، فالصحيفة بمثابة ملك أو ذى نفوذ وسلطان لها جمهورها الذى يتلهف على قراءتها .

والجريدة القوية ذات المحرر الماهر ، الذى يعرف كيف يجتذب القراء هى قوة هائلة لا شبيه لها فى الدولة الديمقراطية .

ثم إن دافنل قد أورد بعد هذا حواراً ظريفاً بين جريدة وكتاب ليدلل على أهمية الصحيفة وتفوقها على الكتاب .

قال الكتاب للجريدة : إنك تنعمين بمئة الف قارىء . ولكنك لاتمكثى إلا ساعة واحدة ثم لا تلبثين أن تمزق ويلقى بك أو يكون منك غلاف واحد للحاجيات ، انك تختفين دون أن تتركى أثراً كالذى أتركه أنا .

فأجابت الجريدة : — أنى اعترف أنك تعمر أكثر منى ولكنك تعيش فى عالم من الظلام وفى زوايا النسيان لذا فانا أفضل حياة يوم أراه مشرقا على مائة عام تقضيها مجهولا مهملا على الرفوف التى يعلوها التراب لا يبحث عنك أحد ولا يجرى فى أثرك مخلوق اللهم الفيران !

ويضرب لنا مثلا أعلى فى النقد الصحفى الصحيح « مولفيك » الصحفى الفرنسى فيقول إنه كان كما يقول التاريخ الطبيعى : إن النسر لا ينقض إلا على الفريسة الحية فاذا لم توجد هـــذه الفريسة فانه لا يلبث أن ينقض على الجثث العفنة »

ولقد كان فولفيك بشراً يمزق أجساد الأحياء بضرباته القاسية ولكن تلك الضربات كانت من آثار النقد الصحيح الذى يزيل عن الانسان غبار الاعتداد بالنفس الذى يقعد به عن طلب الكمال .

ويروى الأستاذ ديلاين رئيس تحرير التايمز الأسبق أن سفير انجلترا فى فرنسا انتهز فرصة وجوده فى باريس وقدمه إلى ملكة

هولاندا فالتفتت الملكة إلى أحد رجالها وصرحت له بأنها تعتبر تحرير التيمس هو رابع سلطة فى بريطانيا العظمى .

وكانت التيمس فى عهـــد دبلاين قد نشرت مقالا هز الملك ليوبولد ، ملك البلجيك السابق ، فأوفد اللورد درهام وكان من عظماء الانجليز يومئذ ليتوسط لدى رئيس تحرير التيمس لنشر مقال آخر يلطف به وقع المقال الأول .

وشبيه بهذا ما حدث للصحفى الفرنسى فرفيسان فقد كتب فصولا يؤيد فيها السياسة القائمة فى عصره ، وأرسل اليه رئيس الجمهورية السكرتير العام لقصر الاليزه . يقول إن جنابه يود أن يراه ليعبر عن ارتياحه ، فأجابه الصحفى العظيم « إننى أقبل بسرور مقابلة جنابه ويمكنك أن تبلغه أنى موجود دائماً بمنزلى فى الصباح وانى استقبل الزوار فى إدارة الجريدة من الرابعة إلى السادسة »

قالت جريدة « الأهالى » :

إذا حوسب كل امرىء على عمله كان حسابه مجملا لا مفصلا ، وإذا حوسب الكاتب الصحافى على ما برقش وسطر كان حسابه على كل كلمة من كلماته ، وتعبير من تعبيراته لأن الكاتب الصحفى مرشد ومؤرخ وقيم وناصح ومعلم . وبمقدار هذه الصفات الجليلة يحاسبه الجمهور عليها حسابا كبيراً .

وفى مجلة « الزهور » :

كان حامل القلم كحامل السيف ، فى يمين كليهما سلاح ماض . . وأصبح حامل القلم فى العصر الحديث كالقابض على الصولجان كلاهما نافذ الكلمة مرعى الجانب ولكن ذلك لا يتم للكاتب إلا إذا فهم حقيقة مهمته ، وأدرك شرف مهنته ، فاذا لم يكن كل من هز الحسام بضارب ، فكذلك ليس كل من هز اليراع بكاتب .

« وأبعد حملة الأقلام نفوذا الآن هم الصحفيون بفضل انتشار الصحف واقبال الكبير والصغير عليها . وعليه يجب أن تكون الصحافة — كما قال أحد كبار المفكرين — شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون »

وقال نقولا الثانى قيصر روسيا : « جميل أنت أيها القلم ، ولكنك أقبح من الشيطان فى مملكتى »

وقال نابليون الأول : « انى أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة الف مقاتل »

« وقال وليم ستيد : « الكاتب السياسى يرتعد من منظره رئيس مجمع الشياطين »

وحدث أن أرسل دى بلوتير مكاتب جريدة التيمس اللندنية

فى باريس إلى جريدته بصورة معاهدة مؤتمر برلين قبل أن يوقع عليها مندوبو الدول فلما اجتمعوا فى اليوم الثانى للمؤتمر رفع بسمرك غطاء مائدة الاجتماع ، فسئل عن ذلك ، فأجاب : لأتحقق مما إذا كان دى بلوتير مختبئا تحت الغطاء ليستطلع أسرارنا »

قال (شاتهام) من أقطاب السياسيين الانجليز المعروفين فى تاريخ انجلترا تمام المعرفة :

« الصحافة الحرة قلب الأمة الخافق » ولقد دافع المفكرون فى مختلف العصور التاريخية عن حرية الصحافة ، (فلسقراط) و (ديموستين) و (أوريبيدس) وغيرهم كلمات مأثورة خالدة على الزمان فى هذا الشأن . وقال شاعر الانجليز العظيم (ملتون) :

« اعطونى حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التى يرضى عنها ضميرى قبل أن تعطونى أى نوع من الحريات الأخرى »

ولما مضى الناقدون فى الصحف الانجليزية ينددون بسياسة الحكومة بين عامى ١٨١٩ و ١٩٣٢ ، عدت أن هذا النقد طعن وقذف ضدها يقصد به إثارة الفتنة ، وعلى ذلك فيجب أن يكافح ويجب أن يمنع بسرعة ، ويجب أن تخمد ناره على الفور بمنتهى التعسف والقسوة .

وصرحت الحكومة البريطانية يومئذ بلسان الشخص

الذى تمركزت فى شخصيته الهيئة الحاكمة حينذاك (المستر بارون وود) أنها لا تتردد لحظة فى استعمال السياط وسائر وسائل التعذيب التى عرفتها القرون الوسطى والعصور المظلمة لمن يرفع عقيرته فى وجه الحكومة أو يجرؤ على أن يناصبها العداء أو يكشر لها عن ناب البغضاء .

وقد أذاع ذلك الرجل الذى كانت تهب من أردانه فى ذلك الحين ريح السلطة والامارة وتلوح عليه مخايل الاستبداد والجور منشوراً أو انذاراً رسميا جاء فى بعض فقراته مايلى :

« يقولون إن لهم الحق فى مناقشة بعض مواد تشريعنا واعتقد أنا أن ذلك ضرب من الحرية يجتاز دائرة المعقول ! . . . أيكون سيداً غطريفاً ذلك الذى يقف حجر عثرة فى طريق البرلمان فيعوقه عن السير بالبلاد إلى قمة العظمة العالية ! . . . لا . . . لا . . . فنحن لا نوافق مطلقا على نشر آراء تثير الرجل ضد الحكومة التى تدبر مرافق بلاده والتى يعيش آمنا مطمئناً تحت ظل نفوذها وسلطانها : نحن لا نوافق مطلقاً على ذلك لأن عملا كهذا من شأنه أن يثير الفتنة فى أرجاء البلاد . وما من شك فى أن الثورات عمل شائن وغير مسموح به لكائن من كان . ومتى سمحت حكومة من الحكومات بنشر مايثير الفتن بين أرجائها فى أى عصر من عصور التاريخ ؟ ! »

ويذكر تاريخ الأمة الانجليزية ضمن مايذكر فى صحائفه العديدة (سجل كوبيت) الشهير تلك الصحيفة النارية التى كانت أجرأ لسان من ألسنة الثورة التى قامت حينذاك بين العقل البشرى و بين خانقيه من طائفة الطغاة المستبدين ا ويذكر ذلك التاريخ الحافل بالعظات أن صحفاً أخرى عاشت حياة غريبة منذ ميلادها إلى أن استل العسف بقسوة من جثمانها خيط الحياة .

ومن تلك الصحف التى كانت قصة منشئها وحياتها وموتها درامة عجيبة مدهشة ومأساة مروعة « القزم الأسود » التى أنشأها فى قلب العاصمة البريطانية « توماس جوناثان دولر » أحد عمال « وركشير » فكانت قذى فى أعين رجال السياسة ، وشجى فى حلوقهم . ولقد قفز ذلك العامل الساذج إلى محل « كوبيت » ليتولى قيادة الرأى العام وليقف موقف مدرب الجنود فى طليعة الراديكاليين المتطرفين فى السياسة من أهل بلاده . ومن هنا نستطيع أن نتبين أن العاطفة الوطنية تتأجج على السواء فى قلوب المتقلبين بين جدران مكاتبهم ، ورجال الشارع الصاخبين فى حاناتهم وملاهيهم ، كما فى قلوب الأغنياء فى قصورهم العالية ؛ والفقراء فى أكواخهم الحقيرة !

وكانت صحيفة « القزم الأسود » تقذف الرعب والخوف فى قلوب الرجال أصحاب المناصب الخطيرة وتثير حولهم عاصفة من

الضحك والاستهزاء اذ نجحت نجاحا كبيراً فى الاستيلاء على مشاعر العمال وكسب ثقتهم ، فكانوا يجتمعون فى الأركان السحيقة والزوايا المظلمة لينصتوا إلى واحد منهم يتولى تلاوتها عليهم ويشرح لهم ما التبس عليهم فهمه من عباراتها الغامضة الصارمة . وفى الجهات الشمالية التى تكثر فيها المناجم كان كل عامل من عمال مناجم الفحم يخبىء واحدة منها بين طيات قبعته .

ولما نالت صحيفة « القزم الأسود » ذلك الحظ من النجاح نهضت إلى جانبها أقزام أخرى ذات ألوان أخرى لتعبر عن نفس الشعور الذى تعبر عنه صحيفة « القزم الأسود » . فكانت صحيفة « القزم الأصفر » تجد بين من يعضدونها بالآراء الحصيفة وبالتحرير الكاتبين الشهيرين « وليم هارليث » و « لى هنت » وقد حملت حملات شعواء فى سبيل حرية الصحافة وحرية الكتابة والنشر . وظهرت أيضاً صحيفة « القزم الأبيض » بيد أنها لم تعش طويلا ، بل كانت ضعيفة لم تستطع البقاء أمام بطش الاستبداد فى ذلك العهد .

وهكذا غمرت البلاد البريطانية بفيضان عظيم من تلك الصحف التقريعية التى كان هدفها الأوحد تحرير الفكر الإنسانى تحريراً مقيداً بالقانون الطبعى الذى قصد اليه « جان جاك روسو » والقانون الدستورى لانجلترا . وقد ظهرت تلك الصحف فى « لندن » وفى غير

« لندن » من سائر مدن بريطانيا . ويذكر التاريخ من بين تلك الصحف صحيفة « المفزع » تلك الصحيفة التى جعلت شعارها صورة رمزية تمثل وحشاً خرافياً هائلا ! وكذلك صحيفة « بنى يوليتيشان » التى جعلت شعارها العبارة التالية :

« والدعوة إلى نظام الحكم الجمهورى » ، « حرية الفكر » و « البساطة » . وصحف « مسجل الشعب » و « قانسوة الحرية » و « القبعة البيضاء » كانت أيضاً نشرات ثورية تقصد كلها الى تسويغ الإنسان لأن يستمرىء حلاوة الحرية التى هتف بالدعوى إلى استنشاق أريجها « روسو » العظيم .

على أن العظيم ذا الشخصية البارزة الذى كان من أشهر العاملين على اشعال نيران تلك الحرب الشعواء الضروس التى ثارت بين العقل وبين الاعتداء على الحرية كان « كربيت » ثم جاء بعده الكاتب المتمرد الثائر « ريتشارد كارليل » — ذلك الكاتب الذى جرع كأس الألم الممض حتى الثمالة حيث زج به فى ظلمات السجون وتعذب طويلا فى سبيل حرية الصحافة . ولا يعرف تاريخ القرن التاسع عشر الأوروبى رجلا رزح حينا ليس بالقصير تحت عبء الآلام المبرحة مثل « ريتشارد كارليل » الذى كان فى صدر حياته عاملا ساذجاً يكدح طيلة ساعات يومه فى عمله الجثمانى

حتى إذا ماجن الليل وأرخى سجوفه السوداء على الكون أوى الى كوخه الحقير كالحيوان الدنيء ! . .

ولكن مقالات « القزم الأسود » كانت جرساً قوى الرنين أيقظ النائم السابح فى بحار الأحلام فنهض نهضة جبارة عنيفة هائلة وأصبح من أكبر دعاة الثورة الفكرية ، ومن ثم انخرط فى صفوف المجاهدين فى سبيل الحرية .

ولقد ذاقت زوجته وأخته مرارة السجن معه . وفى أخريات أيامه أنشأ متجراً صغيراً أسماه « معبد التعقل والصواب ! » أو معبد « حربة الفكر » فى شارع الصحافة الذى كانت فيه تلك الآثار الأدبية الخالدة . وفى ذلك المعبد المقدس جعل « كارليل » يبيع نشراته ورسائله ، وكذلك رسائل ومؤلفات الكاتب الانجليزى الكبير « توماس بين » صاحب (عصر الادراك والتعقل) و (تعالوا نحتكم الى النطق) وغير ذلك من المؤلفات النارية الحامية .

وقد هاجمت اللصوص فى ذياك العصر « معبد الحرية » فأنشأ « ريتشارد كارليل » معبداً آخر يحمل اسم « اللصوص الشرعيين » بالقرب من شارع « فليت » أو شارع الأسطول فى لندن وعمد ذلك الرجل الى حيلة طريفة يهرب بها من وجه رجال البوليس الذين كانوا جادين فى أثره ، ذلك أنه وضع على باب محله ستاراً بلون

الحائط وعليه أسماء جميع المطبوعات فأذا ما أراد شخص شراء شيء أشار بعصاه على اسم الكتاب أو النشرة أو الصحيفة التى يريد ، ثم رمى بثمنها من كوة صغيرة فلا يلبث أن يرى ما يريد أمامه فى حركة منظمة كحركة الساعة ! .

و ما من شك فى أن ذلك الرجل يعده تاريخ انجلترا بطلا عظيما من الأبطال الذين جاهدوا طويلا فى سبيل حرية الصحافه وفك قيود العقل الإنسانى من سلاسل التقاليد البالية .

هذا وقد ظل المستر ويكهام ستيد يعمل فى الصحافة زهاء الخمسين عاما ، وتعلم الاختزال فأتقنه ، وتعلم كيف يلج المجتمعات ، ويحضر المحاضرات فى همة مستمرة ولكنه مع ذلك لم يلق النجاح المنشود فعمد إلى رجل صحفى قديم من أساطين الصحافة هو المرحوم ى . ت ستد . يستنصحه فأجمل له النصح باختصار فقال :

« كل ما يحضرك فى السكتابة فأسرع وأكتبه ، وبعد أن تكتبه تصور أنك ستبعث به تلغرافيا ، وأنت فى انجلترا ، إلى أستراليا على نفقتك الخاصة بحسبان أن الكلمة تكلفك شلنا مثلا . . وعلى هذا الأساس استبعد من كتابتك كل مالا يستأهل الشان ، وستجد أنك استبعدت كلاما كثيرا ، وبقى كلام قليل ، هذا الكلام القليل الباقى ابعث به إلى صحيفتك فهو المطلوب !

الصحافة تتزوج من الجمهور

تقول « جين آبوت » فى مقالها الذى نال فى سنة ١٩٤٥ « جائزة أحسن مقال فى تلك السنة » :

إنه لاريب فى أن كل شخص ذكى لبيب سيقر معى بأن لا وجود فى العـــالم على الاطلاق للحرية الكاملة . فليس فى وسع أحد أن يتصرف على الدوام على هواه ورغبته دون ضابط أو رقيب . والواقع أن حرية فرد ما أو دولة ما إنما تنتهى عند مانبدأ حقوق فرد آخر أو دولة أخرى . وعلى هذا النحو يدرك كل فرد ذكى أن حرية الصحافة ينبغى بدورها أن تكون نسبية .

الجواب على ذلك السؤال يسير : وهو أن تتوفر الحرية لكل صحيفة بحيث تستطيع أن تنشر كل مايقوى القائمون بالأمر فيها على نشره من الانباء الصادقة ، وأن تضمن فى الوقت نفسه حرية نشر الرأيين المتناقضين المختلفين لاية مسألة من المسائل التى يدور بشأنها الجدل والنقاش ، وأن تتحرر الصحيفة وتقف موقفا نزيهاً مستقيما من أى موضوع يدور حوله الجدل والبحث ، ثم تتخذ لها موقفاً ثابتاً مستقراً منه توضحه فى افتتاحيتها . وحرية الصحافة لا يمكن توفرها إلا بالاعتماد على دعامة واحدة وطيدة هى : الصدق !

وعلى الرغم من أن التوراة قد ذكرت منذ دهور طويلة قبل ظهور الصحافة إلى عالم الوجود العبارة التالية : « اعرف الصدق ، يحررك ويطلقك من أسارك » فان المرء ليتلو فيها توجيهاً صالحاً لرجال الصحافة فى هذه الأيام . .

بيد أن الصحافة ناقصة فى حد ذاتها ، تكمل بالجمهور الذى اتخذها زوجة له ! والحق أن أية صحيفة لا تجد لها جمهوراً يطالعها ويقبل عليها ليست سوى أداة معدومة القوى . وهى بحاجتها إلى القراء ، مسلوبة الأيدى والنفوذ . وإذا نحن سلمنا بهذه الحقيقة وجعلناها نصب أعيننا ، استطعنا القول بأن القراء عامل مؤثر فعال فى حياة الصحف ووجودها . والحق أن ما يقررونه حاسم وقاطع فيما يتعلق بحياة الصحف على اختلافها . فهم باقبالهم على جريدة ما ، وإهمالهم شأن أخرى ، إنما يقررون بطريقة قاطعة أى الجريدتين قد كتب لها النجاح وأيهما الفشل . ومع ذلك فلا نزال نصدم بكثير من الناس الذين يدعون أنهم يعيشون بمنأى عن الصحافة ، وهم ، لو عقلوا ، لأدركوا أنهم بقولهم هذا إنما يحكمون على أنفسهم بالموت والفناء ، وهم بعملهم هذا يتخلون عن مسئوليتهم فى صيانة حرية الصحافة ، وهى المسئولية التى تقتضيهم النظر فى علاقتهم بالصحافة نظرة مباشرة ، ومحاولة جعل الدور الذى يضطلعون به فى حياة

الصحافة دوراً إيجابياً فعالاً .

وعلى الرغم من أن حرية الصحافة تتناول التحرر من قيود مختلفة يفرضها القانون ، وقيود تفرضها الظروف الاقتصادية وظروف المهنة ، فان الحرية الأساسية التى ينبغى أن تكون مكفولة موفورة فى هذا الصدد هى «حرية القارىء» وإذا اتفق أن كانت الصحيفة حرة فى حين أن قراءها غير أحرار ، تمثلت الصحيفة من عبودية قرائها عقبة كأداء تعوق سيرها وتعترض رسالتها من أول الأمر . وقد يكون نقيض هذه الحقيقة صحيحاً ومفيداً فان الصحافة التى تؤذيها القيود وتعرقل حركاتها اللوائح والقوانين ربما استطاعت صنع بعض الخير لو أن قراءها كانوا أحراراً قادرين على استنباط ما بين السطور ، وإدراك ما حذفه الرقيب ، وفهم ما يرمى اليه المحرر اللبق من عبارات كبحت اللوائح من جماحها ، وخففت من حرارتها وملت من جلائها ووضوحها .

أما حرية القارىء فتتفرع إلى حريتين اثنتين : أولاهما التحرر من الجهل والثانية التحرر من التعصب المقيت ، ذلك أن الجهل والتعصب ، كليهما لا يستطيع الاهتداء إلى الحق والصدق مهما كان واضحاً جلياً أمامهما .

ينبغى أن يعرف القراء كيف تعمل الصحف !!

وثمة مسئولية ثالثة تتصل بمسئولية التحرر من الجهل ، ينبغى ذكرها ونحن بصدد الحديث عن مسئولية القراء تلك هى مسئولية كل فرد فى أن يعرف شيئاً عن طبيعة عمال الصحيفة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن الفيلسوف اليونانى ابيكتيتوس كان قد كتب يقول :

تنص قوانين الدولة على وجوب تعليم أحرار الناس فقط ، بيد أن الله يقول : « إن الرجال المتعلمين هم وحدهم الذين يصبحون أحراراً . . » ويكاد يكون من المستحيل على الجمهور أن يصون حرية شىء ما لم يتلق أى علم بشأنه ، ولا يعرف عنه سوى القليل التافه والجمهور فى حاجة إلى أن يعرف الوسائل الخاصة بالحصول على الأنباء ، وأن يقف على الظروف التى دونت فيها وسجلت ، كذلك ينبغى للجمهور أن يدرك كيف أن كثيراً من هذا العمل الحيوى إنما يتم تحت عبء الضغط الباهظ المرهق ، وأن الكثير من القرارات الصحفية الهامة ، يتحقق فى ثوان معدودات .

ولكن قد يتساءل المرء ، وكيف يتسنى للجمهور العلم بهـــذه المشاكل ؟ والواقع أن بعض الناس قد يعرفون ذلك بالمطالعة ، فى حين قد يقف عليه آخرون من أصدقائهم الصحفيين . غير أن الوسيلة الوحيدة التى تكفل للجميع معرفة صادقة كاملة بشئون الصحف وأعمالها ، هى الالتحاق باحدى مدارس الصحافة العامة التحاقا عمليا

مدة كافية من الزمن . وينبغى فى هذا المجال أن يتعلم الطلبة الصحفيون كيف يطالعون الصحف ، وكيف يستطيعون تفسير مايقرأون فيها ، وكيف تتعاظم حساسيتهم وتتسع مداركهم فيلاحظون مالا يتلونه مدونا مكتوبا ، كأن يستطيعوا تحليل الحقائق التى لم يتسع المجال لنشرها ، ومقارنة التفاصيل والروايات والحوادث بعضها ببعض .

ولقد كان من المألوف أن تكون الأنباء التى تسردها الصحف سهلة يسيرة الفهم ، ولكن هذا النهج ليس دائما اذا شاء القراء أن يجنبوا أنفسهم الغموض والاضطراب ؛ وإذا رغبوا فى أن ينأوا بجانبهم عن الافتراضات الكاذبة والظنون والأوهام والنتائج الخاطئة ، وجب عليهم أن يروضوا أنفسهم على مواجهة مثل تلك المعلومات والأنباء المتناقضة المعقدة .

غير أن الصحافة لاتستطيع أن تعرض الصدق الكامل على جمهورها مادامت لا تستطيع الظفر بالحقيقة الكاملة من مصادرها الخاصة ؛ وهنا أيضا تقع على الجمهور المسئولية فى الاهتداء إلى الحقيقة الكاملة ؛ ذلك أن المصادر التى تعتمد عليها الصحافه فى الحصول على حاجتها من الأنباء تختار بالضرورة من بين مصادر الجمهور نفسه إذ أنه من المستحيل على كل صحيفة أن تجعل لها ممثلا

أو مندوبا يوافيها بأنباء كل حادث ذى شأن وأهمية وعلى ذلك فكل فرد مسئول — متى استدعى للادلاء بنبأ للصحافة — عن إعطاء كافة المعلومات الكاملة الصحيحة غير المتحيزة ، والجمهور مسئول كذلك عن وجوب اعلان مصادر الأنباء والجهات التى استقيت منها المعلومات حتى يمكن التحقق من صدق تلك الأنباء والاعتماد عليها فى كافة الأحوال : ومن واجب الجمهور أن يقدم المصلحة العامة على كل اعتبار شخصى آخر فى حالة التصريح بأية معلومات أو أنبـــاء لرجال الصحافة . ولا شبهة فى أن نجوم المجتمع الراقى وكبار الموظفين الذين يحاولون الاشتهار بأى سبيل ، ورجال الدعاية المحترفين ، كل أولئك يفسدون مهمة الصحافة فى ترويج الصـــدق والحق ، ومن ثم يقضون على حريتها الحقيقية .

كذلك من واجب الجمهور أن يكون على الدوام يقظا لما يجرى من أمور ، ومتشوقا لأن يرى أن القوانين اللازمة لازالة مثل تلك القيود موجودة فى كتب هذه البلاد القانونية ، ولكى تكون الصحافة حرة ، وجب ألا تقف فى سبيلها عوائق وعراقيل مثل الضرائب الباهظة وصعوبة استصدار الرخص ، أو تعاظم ضغط الاعلانات وطغيانها على أنهر الصحيفة ، والحق أن الرقابة العسكرية الاختيارية التى التزمتها الصحف الأمريكية من تلقاء نفسها إبان

الحرب الأخيرة جديرة بألا تدع فى ذهن أحد من الناس شبهة من الشك فى أن صحفنا « الأمريكية » لاتحتاج إلى هيئة من الرقباء يمرون بأقلامهم الزرقاء على تقاريرها وأنبائها الأمر الذى سيجعل من جمهور القراء الرقيب اليقظ العادل على ماتنشره الصحف . ولقد أظهرت هذه التجربة الموفقة أن أفضل الحلول للمشاكل المتصلة بالصحافة ليس فى تطبيق القوانين واللوائح وإنما فى مناشدة الصحفيين التشبث بمبادئهم والاحتفاظ بكرامة مهنتهم

وهنالك حرية أخرى لابد من توفرها لكى تحقق للصحافة حريتها الكاملة ، تلك هى حرية المواصلات ولقد كانت الحرب العالمية الأولى أول فرصة سنحت لتحويل أنظار الناس بعض الشىء عن الأنباء والحوادث المحلية ، وصرف معظم انتباههم واهتمامهم إلى الحوادث الدولية ، وازدادت هذه الحالة توكيداً ورسوخا بتقدم المواصلات العالمية ، ولقد كانت تسهيلات المواصلات على الدوام عاملا رئيسيا فى تقدم الإدارة الصحفية ، بيد أنها أصبحت اليوم عامل حياة أو موت إذ لاتستطيع الصحف بدونها أن تنشر الحقائق ؛ وبذلك تكون مسلوبة الحرية ، فالصحفى المقيم فى الصين ؛ الذى يعرف الحق ولكنه لايستطيع إرسال أنبائه ورسائله إلى أمريكا لايستطيع بحال من الأحوال أن يتقدم بيد محسنة خيرة إلى الشعب

الأمريكى ، فعلى الجمهور إذن متى رغب حقا فى الاحتفاظ بحرية الصحافه — أن يلح فى سبيل اتخاذ تدابير خاصة بعد الحرب — تسمح بتدفق الأنباء والمعلومات من أمة إلى أخرى دون عائق من الحدود أو التخوم الوطنية .

وبعد فهل يمكن أن تظل الصحافة بدون قيود ؟

هل ينبغى لها أن تظل دون ما « صمام أمن يكبح جماحها »

كلا ! ليس هذا بالحل الصواب فليس المقصود بحرية الصحافة أن تكون امتيازا يمنح للناشرين يستخدمونه أداة لمصلحتهم ، وإنما المقصود أنها أمانة نيطت بذمم الصحفيين وضمائرهم ، ومن واجبهم أن يستخدموها فى الصالح العام ، ولكن لما كانت الصحيفة يديرها أفراد لهم مصالحهم الخاصة ومطامعهم الشخصية ، قابلون لاقتراف الاخطاء والاثام ، وجب أن توجد بعض القيود لكبح جماحها . ولما كان من المرغوب فيه أن تقيم الدولة قيداً ما على الصحافة ، فالجهة الوحيدة التى ينبغى أن تكون « صمام الأمن » فيما يتعلق بالصحافة هى : الجمهور ! لذلك وجب على جمهور القراء أن يكون يقظا حريصا ذكيا حتى يكون له أثره الفعال فى توجيه الصحف وتسديد خطاها للصالح العام !

كذلك ينبغى أن يكون الجمهور يقظا لاتفوته مرامى الدعاية وأهدافها وفى وسع القارىء أن يصبر على الدعاية فى حذر إلى أن يطالع مايقابلها أو يعارضها . وفى مقدوره أن يكشف عن مصدر تلك الدعاية وعن أهمية تفنيدها وتبديدها .

obeikandl.com

صاحب الجلالة أو السلطة الرابعة

يقول الأستاذ أميل زيدان بك فى مجلة (الهلال)

لكى نعرف قيمة شىء من الأشياء يحسن بنا أن نعمد إلى طريقة سهلة ، وهى أن نفرض أن هذا الشىء قد زال من الوجود : فافرضوا أن دكتاتورا جبارا ، بجرة قلم واحدة ، ألغى الصحافة على بكرة أبيها . فلا جرائد فى الصباح ولا جرائد فى المساء ولا مجلات مصورة أو غير مصورة ! .

فماذا يكون اثر ذلك فى حياتنا ؟

لا شك أنها تفقد كثيرا من بهجتها ، ولا شك أننا نصبح فجأة كمن خيم عليهم ظلام حالك ، إذ نفقد الجانب الأكبر من المعلومات التى نعتمد عليها فى حياتنا . فالجرائد فى عصرنا هى الصلة بين الفرد والعالم الخارجى . ولولاها لعاش فى عزلة عما يجرى حوله . . . ولو صح فرضنا — لا سمح الله — لأصاب المجتمع شلل يتناول أعضاءه جميعا إذ لا توجد دائرة من دوائر حياتنا الاجتماعية لا تغذيها الصحافة أو تمسها من قريب أو بعيد .

ومع ذلك فالصحف هى أرخص شىء فى العالم . ليعمل كل منكم

قائمة بالأصناف التي يمكن أن يشتريها بنصف قرش أو بقرش — وهي ليست كثيرة في هذا الزمن — وليقابلها بالجريدة أو المجلة التي يحصل عليها بهذه القيمة الزهيدة : ان الفرق كبير جدا بين ما يجنيه من فائدة أو لذة في الحالتين .

وقد يعترض علىّ أحدكم فيقول : كثيرا ما يحدث أن يمضي يوم أو أيام دون أن أطالع جريدة أو مجلة ولا أشعر مع ذلك بأنه فاتني شيء كثير .

وهذا ردي عليه : أجل ، قد لا تطالع الجرائد والمجلات أياما بل أسابيع ، ولكنك على الرغم منك تتأثر بها في كل ساعة ، فان من حولك يطالعونها وينقلون اليك ما فيها من فوائد ومعارف . ولو امتنع الجميع عن المطالعة لعلمت حينئذ ما تفقد من جراء ذلك .

وقد أعجبني تحديد أحدهم للصحافة بقوله : انها عقرب الثواني على ساعة التاريخ . فكما أن عقرب الثواني يجزيء مجرى الزمن ويقسمه أقساما صغيرة ، كذلك الصحافة تتناول مجرى الحوادث التي يتألف منها التاريخ فتحللها وتشرحها وتدونها واحدة واحدة .

ولا أغالي في حاجة الى الافاضة في بيان شأن الصحافة في هذا العصر . . سيقول بعضكم : « كل فتاة بأبيها معجبة » أجل . إني ممن يتعشقون هذه المهنة وممن يفتخرون بانتمائهم الى « صاحبة الجلالة »

كما سماها البعض ، أو « السلطة الرابعة » كما سماها آخرون . ولكنى فى ذلك أصغى لوحى "عقل بقدر ما أصغى لوحى القلب .

إن الالمان ينسبون الجانب الأكبر من انكسارهم فى الحرب العظمى الى فعل الصحافة والبروباجندة . فقد قال أحدهم ان القذائف الورقية كانت أفتك فى صفوفهم من القذائف المعدنية .

وقد روى لى أحد شيوخ الصحافة فى مصر أن وجيها من وجهاء العصر الماضى غضب على ابنه غضبا شديدا بل قاطعه مقاطعة حين علم أنه يريد الكتابة فى الصحف . أى يريد أن يكون « جورنالجيا » ذلك لأن الصحافة كانت فى نظر بعض الناس غير محترمة و كانت كلمة « جورنالجى » تشف عن شىء من الزراية والاحتقار . . ولكننا نحمد الله على أننا عشنا حتى رأينا أمراء البيت المالك لا يستنكفون من الكتابة فى الصحف ، ولا يرون غضاضة فى أن تذيل المقالات السياسية والاجتماعية بامضاءاتهم الى جانب امضاءات الصحفيين العاديين .

قال لوردملنر : « ان الصحافة أجل حرفة فى العالم وربما استثنيت من ذلك منصب الوزارة » .

ان الصحافة ، ولا ريب ، من أكثر الأعمال جاذبية . ففى كل يوم يفد على مديرى الصحف والمجلات شبان يبغون الانخراط فى

سلكها . ولعل بينكم غير واحد ممن فكروا فى دخول هذا الميدان فالى هؤلاء أقول : ان باب الصحافة مفتوح على مصراعيه لكل راغب . ولكن إذا كان المدعوون كثيرين فان المختارين قليلون .

ولنتبسط الآن قليلا فى هذا الموضوع وننظر اليه من نواحيه المختلفة :

هل يخلق الانسان صحفيا — كما يخلق موسيقيا — أم يمكنه اكتساب المؤهلات اللازمة للعمل الصحفى ؟

أكاد أجيب عن هذا السؤال بقولى : إن الصحفى يولد وقد طبع بطابع خاص ، ولكنى أعود فأقول : إن التثقيف والمران كفيلان بتكييف الصحفى إلى حد بعيد .

وليس من اليسير أن نحدد الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الصحفى . فبينما نجد لمعظم المهن — كالطب والمحاماة وغيرهما — شروطا يجب على من يريد الالتحاق بها أن يستوفيها ، فلسنا نجد شيئا من ذلك فيما يتعلق بالصحافة . فلا موضوعات معينة ولا امتحانات ولا شهادات تخول صاحبها حق ممارستها على الرغم من كثرة المعاهد .

ومع ذلك فانه يطلب من الصحفى — وخاصة فى هذا العصر —

أن يكون واسع الثقافة . فان قراء اليوم ليسوا قراء الأمس . ومن لم يتخذ للصحافة عدتها فقد قضى على نفسه بالفشل والخذلان .

ولقد انقضى زمن كان الشاب فيه إذا سدت فى وجهه أبواب العمل المختلفة لجأ إلى الصحافة واتخذها مرتزقا . وإنى أقول فى غير تردد انه لا توجد اليوم مهنة تتطلب من صاحبها ما تتطلبه الصحافة من تفكير ومهارة ويقظة واجتهاد .

ومن الأوهام التى كانت شائعة إلى عهد قريب أن كل من أجاد الكتابة صلح لأن يكون صحفيا ، والواقع على نقيض ذلك فقد يكون الانسان من أبرع الكتاب ولا يفلح فى ميدان العمل الصحفى . فالصحافة تستلزم أمورا أخرى جليلة الشأن لا يجوز اغفالها .

من هو الصحفى ؟

١ — وفى مقدمة ما يطلب من الصحفى أن يعرف نفسية الجمهور ، وليس هذا بالأمر الهين ، فالسؤال الذى يجب أن يتساءله المحرر كل صباح وكل مساء هو هذا : ما الذى يستحسنه الجمهور ؟ وما السبيل إلى اجتذابه واستمالته ؟

ولقد حدث لى غير مرة — كما حدث ولابد لكثيرين من زملائى — أن أعجبت بمقال . . . حتى إذا ما نشر وجدت أنه لم يحز رضى القراء .

ويحدث أحيانا بعد صدور العدد من الجريدة أو المجلة أن يجيئك أحد القراء فيقول لك : ان المقال الفلانى جميل وهو أحسن ما فى هذا العدد . ثم لا تلبث أن يفاجئك آخر يقوله : حبذا لو لم ينشر هذا المقال — المقال عينه — فانه لا يستحق المطالعة .

إن نابغة الصحافة هو ذلك الذى يستطيع أن يجس نبض القراء ويتلمس ميولهم ويتتبع تقلبات تلك الميول وتلوناتها .

٢ — على الصحفى بعد أن يلمس نفسية قرائه — أن يحصل على المادة التى يود نشرها . وهى على أنواع ، باختلاف أنواع المحررين .

ولكن هناك عاملا يجب ألا يبرح عن ذهن الصحفى على الاطلاق وهو السرعة . فنحن فى عصر كل شىء يتم فيه بسرعة لذا أصبح للسبق أعظم الشأن فى العمل الصحفى .

ويحتاج المحرر فى كثير من الأحيان إلى سعة الحيلة للوصول إلى غايته . ومن أبرع الحيل التى استخدمها الصحفيون أن أحدهم فى أثناء حرب الترنفسال كان يرقب نتيجة معركة خطيرة ، ولم يكن

فى تلك الجهة إلا مكتب تلغراف واحد ، وكان الى جانبه زملاء آخرون يرقبون تلك النتيجه أيضا . فلكى يسبق سواه طلب إلى موظف التلغراف أن يرسل صفحات من الكتاب المقدس بالتلغراف إلى جريدته حتى يحول دون استعمال زملائه له ولما عرفت نتيجة المعركة تمكن من ارسالها قبل سواه ، وأتبعها أيضا بقدر كاف من صفحات الكتاب المقدس ليضمن لجريدته الوقت اللازم لإذاعة الخبر على القراء .

ووفق صحفى آخر إلى عمل باهر ذهل له رجال السياسة على أثر الحرب العظمى وكان له دوى فى العالم كله فقد وسع هذا الصحفى الحصول على معاهدة الصلح ونشرها فى جريدته وهى — الشيكاغو تريبون — قبل أن تخرج من أيدى مصنفيها وفى حين كان مجلس الشيوخ الأمريكى يلح على الرئيس ولسون فى نشرها وهو يمتنع ويعتذر . وقد تم له ذلك بالتواطؤ مع مندوب احدى الأمم الصغيرة التى كانت تشكو من فداحة شروط الصلح . فقد استطاع الصحفى من اقناعه بأن نشر المعاهدة من شأنه أن يسترعى النظر إلى أمته المظلومة ويساعد على الدفاع عن مصالحها .

وقد يحتاج الصحفى ، بجانب المهارة وسعة الحيلة إلى الجرأة والشجاعة ، فان الصحفيين البلجيكيين أصدروا أثناء احتلال الألمان

لبلادهم جرائد كان محررو ها ينشرونها ويوزعونها على الجمهور خلسة ولعل أهمها جريدة « بلجيكا الحرة » التي حيرت ألمان أيما حيرة فقد بثوا عيونهم للاهتداء اليها ، وجعلوا مكافآت كبيرة لمن يساعدهم على القبض على محرريها وطابعيها ، ولكن بلا جدوى . وما ذلك إلا لأن مطبعتها كانت تنتقل دواما على سيارة فاذا طبع العدد وزعت النسخ على بعض الأنصار وهؤلاء يوزعونها على أفراد الشعب .

٣ — وإذا حصل الصحفي على المادة التي يبغي نشرها وجب عليه أن يصوغها في قالب انشائي مقبول . والانشاء الصحفي يكاد يختلف عن الانشاء الأدبي ، ولابد للمحرر من مراعاة اعتبارات جمة قد لا يحفل بها الأديب الفنان .

وسأسرد الآن نصائح خمسا أعتقد أنها أركان الاجادة في التحرير الصحفي المصري .

أولا — انظر هل موضوع المقال ملائم للجريدة أو المجلة التي تود نشره فيها وهل هو موافق لأغراضها . ثم انظر هل حجمه متناسب مع أهميته من جهة ومع حجم المقالات التي تنشرها تلك الجريدة أو المجلة من جهة أخرى .

ثانياً — تأكد من صحة المعلومات التي ذكرتها : حقق أسماء الأماكن ، وأسماء الأشخاص والأرقام والاقتباسات ولا تتردد

فى الرجوع إلى المصادر الموثوق بها .

ثالثاً — توخ الوضوح التام بحيث يفهمك القارىء العادى بدون اجهاد . فانك إذا ارهقته فى فهم ما تكتب أعرض عنك وعن الجريدة أو المجلة التى تكتب فيها . واستعمل أسهل الكلمات وأقربها إلى ذهن الجمهور .

رابعا — توخ دائما الايجاز والاختصار واحذف كل كلمة يمكن حذفها ، وكل عبارة يمكن الاستغناء عنها . . وابدأ مقالك فى الموضوع ذاته : لا تطل المقدمات والتمهيدات بل ادخل توا فى الصميم .

خامسا — ابحث دائما عما يشوق القارىء ويقتنص انتباهه . ليكن مقالك متشبعاً بالحياة . توخ الجديد والمبتكر وكل ما يثير التعجب ويستفز العاطفة . ومع ذلك اياك أن تصدم الذوق السليم أو أن تنزل عن المستوى الأدبى الواجب الاحترام . أوأن تأتى أمرا من شأنه أن يزعزع ثقة القارىء فيما يقرأ .

٤ — ولنفرض الآن أن المقالة قد كتبت فيجب أن تعد للطبع ولكن قبل اعدادها ينبغى أن تعمل لها عملية التنسيق والتجميل المناسبة لكى تسترعى نظر القارىء حالما يتناول الجريدة أو

المجلة . فان منظر المقالة يترك فى نفسه الأثر الأول قبل أن يتأثر من فحواها .

* * *

وإذا كانت واجبات الصحفى دقيقة بوجه عام ، فان واجبات الصحفى فى مصر أدق ، لأننا لا نزال حديثى عهد بالصحافة ، ولأن نسبة المتعلمين فيها أقل منها فى سوانا من الأمم ، ولأن للكلمة المطبوعة بيننا سحراً يستولى على العقول وأثراً ينطبع فى النفوس .

فعلى الصحفى فى مصر أن يحفل باخلاقنا الشرقية ، وألا يذهب فى المناقشة إلى مثل التهور الذى يذهب إليه بعض كتاب الجرائد الغربية . فلكل أمة أخلاقها وتقاليدها ، ونحن فى أخلاقنا وتقاليدنا أقرب إلى الحشمة والتأدب .

نزوة صحفي

كان «جيمز جوردن بنيت» صاحب جريدة «نيويورك تريبون» صحفياً عظيما، وكان لصحيفته مراسل فى لندن غير حائز لرضاه، فتلقى المراسل ذات يوم برقية تأمره بالسفر إلى باريس لمقابلة بنيت فيها — فداخله الشؤم مما أمر به.

وكان المراسل يعرف أن بنيت يحب الكلاب ويرى مع من يرون أن الرجل الذى تحبه الكلاب وتأنس إليه، لا يمكن أن يكون رجلا لاخير فية، فعمد قبل سفره إلى شرائح من الكبد ودسها فى جيوب ذيل السترة الرسمية الطويلة التى كان يرتديها.

فلما وصل إلى دار بنيت فى باريس، ظل ينتظر ساعة كاملة. ثم فتح الباب، ودخل الصحفى العظيم ووراءه طائفة من الكلاب تبصبص بذيولها وتتشممه، فلم تكد ترى المراسل حتى وثبت إليه وجعلت تلحس وجهه ويديه.

وإذا بوجه بنيت المتجهم قد انفرجت أساريره وشاع فيه الابتسام، وبدلا من أن يهوى على المراسل بالتعنيف والطرد، منحه أجازة أسبوع يقضيها فى باريس على حساب الصحيفة، وأعاده إلى لندن بعد أن زاد مرتبه زيادة كبيرة.

الأمم فى نظر الصحف

استعرضت إحدى كبريات الصحف الصينية الدول الخمس الكبرى ولخصت رأيها قائلة :

الفرنسى يتكلم ، ثم يعمل على الفور .

والانجليزى يتكلم ، ويعمل فى آن معا .

والأمريكى يعمل ، ثم يتكلم بعد العمل .

والروسى لا يتكلم أبدا ، ويعمل فقط .

والصينى لا يفتأ يتكلم ، ولا يعمل أبداً .

الخيال الصحفى

اشتهرت إحدى الصحف الأمريكية باطلاق العنان للخيال فى شتى الشؤون العالمية ، وفى خلال الحرب الماضية ، نشرت الجريدة عدة مقالات تتضمن تفاصيل دقيقة لمراسلها « فى ميدان القتال » وحدث أن تعرضت الجريدة لمعركة خاصة جاء وصفها لها غير مطابق للمعلومات التى لدى وزارة الحربية الأمريكية ، فأرسلت الوزارة أحد كبار موظفيها للاستفسار عن بعض النقط . وقابل الموظف رئيس التحرير وسأله عما نشر فى إحدى المقالات ، فقال رئيس التحرير :

تفضل بتوجيه أسئلتك إلى مراسلنا فى ميدان القتال . .

وسأل الموظف عن عنوان المراسل ، فأجاب :

— فى الغرفة المجاورة لهذه الغرفة ! . .

سحر الكلمة المطبوعة

قال اللورد ساتوود رئيس مؤتمر الاعلان الدولى فى خطاب ألقاه فى اجتماع المؤتمر السنوى الذى عقد فى جلاسجو منذ ٥ سنة :

« يجب أن نضع نصب أعيننا أن أهم شىء فى حياتنا العملية ، الشىء الذى يوفر لنا جميعا السعادة والاطمئنان ، هو ضمان استمرار السلام بين الأمم .

وانه لا يزال فوق مستوى قوانا ادراك سبب استمرار تعثر الانسان فى طريق القدر فى ذلة حقيرة : استمراره على اقناء النفس ، واستمراره على الاغتواء بمثل هذه السهولة المروعة فى غابة الحرب العتيقة .

لماذا يستمر ظل الطائرات المدمرة يلوث الأرض الخضراء لزاهية فى كل مكان . ؟

لماذا تستمر هذه الحروب المبيدة على اجتياح جميع آمال البشر ؟

إنى أعتقد أن فى الكلمة المطبوعة ، ما دامت الحقيقة حرة

حرية مطلقة ، قوة أعظم صولة ونفوذاً من المدافع والغازات السامة وأكثر مناعة ، وأقوى حرارة من الصلب .

من الواضح الجلي في هذا العالم . في كل مكان من هـــذا العالم الفياض بدلائل تفوق الانسان وسيادته ، في هذا العالم الذي حولت كل عناصره إلى أغراض مادية ، ان واجب الإنسان أن ينهض إلى ذروة الهبة التي حباه بها الله ، هبة الذكاء العظيمة . فذلك هو أعظم واجباته التي يجب أن يواجهها بشجاعة وعزم .

يجب أن يولد في كل مكان فهم جديد لاخوتنا المشتركة .

أن الحرب ، الوحيدة التي يمكن أن تنهي الحرب يجب أن تكون عقيدة يؤمن بها العقل البشري .